

المقدمة

دائمًا كنت أنا السيئ في رواية الجميع حتى روايتي،
وذلك كله من أجل المتعة فقط.. لأرى الدماء والقتل أمام
عيني كأنه فيلم كوميدياً، وأشبهه بالآلة التي تتحرك
بأوامر من صانعها ... هو الذي قرر زرع بي نبتة
سوداء، وظلّت تنمو بداخلي وتجعل حُبي لسفك الدماء
والعنف يزداد يوماً بعد يوم واصنع أسرار الليل بيدي
هاتين!
ولكنني أصبحت الآن شعاعاً من النور لمن فقد الأمل!
أما من أنا؟! فأنا لا أعلم.

نرجع بالزمن سوياً وتحديداً إلى يوم السادس والعشرون من ليالي ديسمبر الباردة قبل سنتين من يومنا الحالي، في إحدى المخازن المجهورة كان يجلس شاب على كرسي مُقيد في منتصف ذلك المكان المُعتم مُصاباً بحالة إغماء أثر ضربه على مؤخرة رأسه يبدو أنه ضحية جديدة لـ آرثر فليس من الغريب أن يختطف ضحاياه ويضعهم في ذلك المخزن المقزز، فتح أعينه بوهن نتيجة ألم رأسه ينظر حوله بعيون مذعورة يرتعد من الخوف فهو لم يفعل أي شيء ليُختطف؛ فكان مثل أي شاب في مقتبل شبابه لم يرتكب أي ذنب بطبيعة الحال، ظلَ هناك إلى ما يُقارب الساعتين حتى عاد ذلك المُختل بملامحه الجامدة، ألقى إليه نظرة وكأنه يتفحصه سريعاً ويُعاين إحدى بضاعته ولكن لم يكن ذلك مقصده منذ البداية كأنه رأى فيه شيئاً لم يفهمها فمُخططه لم يتوقعه أحد، ثوانٍ وأتى اثنين من رجاله ومعهما شابٌ آخر يبدو أنه في مثلِ عمره، حينها توجه آرثر إلى طاولة مُغطاة بالأتربة ولكن ما عليها كان يلمع بشدة فلم يستطع ذلك الفتى المُقيد تحديد ما عليها من ظُلمة المكان من حوله ولكن حين رفعها آرثر اتضح أنه نصلاً حاداً، ليقترّب

بُخِطِي ثابتة من ذاك الشاب بعد أن تم تكبيله فظهرت
بسرعة ابتسامة عريضة وقتها على ثغره ليُردف بعدها:
"حان وقتك يا عزيزي فلقد انتظرت كثيرًا مجيئك ولكنك
كنت تُفضل الهرب مني دومًا".

ثم جثا على ركبتيه مُقتربًا أكثر منه:
"لماذا تود الهروب مني، هل تتوقع أنني سوف
أُؤذيك؟".

كان الفتى ينظر له بعيون مرتعبة وجسمٌ مرتجف فتظُن
أنه تبول على نفسه، لتتعالى ضحكات آرثر بالمكان
مُتحدث بتهمك ساخر يهز رأسه بالموافقة والابتسامة لا
تُفارق وجهه فتظنه مُختل عقلانية:

"نعم يا عزيزي كما تتوقع فأنا سوف أؤذيك ولكنني
سوف أكون رحيم بك بضع دقائق، هل تتمنى أي شيء
قبل أن تلقى حتفك؟!".

اتسعت عيون الفتى بذعر وعجز لسانه عن الحديث،
لحظات قبل أن تسري السكين على رقبتة بهدوء والدماء

تنهمر بغزارة على أرثر وما حوله، حينها لم يُصدق ذلك المُقيد بأن ما يراه حقيقياً وأنه مُجرد كابوس وسوف يفيق منه ليجد نفسه في فراشه نائماً وعائلته تُحيط به، حدث ذاته بخوف وذُعر أنه سوف يلقي مصيره مثله وسيكون جُثة هادمة بجانبه ولكن ما حدث بعد ذلك لم يكن مُتوقع.



لِنعود إلى وقتنا الحالي، في مخزن مُشابه للذي ذي قبله مُظلم ومهجور وغير مُؤهل للاستخدام الآدمي حتى كل ما يفعله فيه فقط هو التسلية .. أن يتسلى بتعذيب ضحاياه بالنسبة له فهو مُجرد مكان يلهو فيه قليلاً، كانت ضحيته مُلقى على الأرض فلقد انهال الرجال عليه بالضرب المُبرح وكان ما يحدث الآن يتكرر ثانياً، يجلس واضعاً ساقاً فوق الأخرى ويبتسم بتشفي، يُضيق عيناه يُدقق النظر بذلك الجسد المُمتد مُفكراً بطريقة يتخلص منه بتلذذ، مرّت ساعة واحدة فقط وكان ذلك الجُسمان مُجرد جُثة بائدة أرضاً وأتى أرثر برقفة فتاة في بداية عقدها العشرين وقف كلاهما أمامه فعقد أندرو حاجبيه بعبوس

ناظرًا لتلك الفتاة منتظر تفسيرًا من آرثر بوجودها هنا،
أردف آرثر بعد ثوانٍ مُشيرًا عليها:
"صوفيا".

رد بحاجب مرفوع ولا مبالاة:
"حسنًا من صوفيا؟".

أجابه بتوضيح:
"لقد رأيت بها ما رأيتك بك يا أندرو".

رفع الحاجب الآخر باستنكار، يرمقها بوغر:
"حقًا! وما الذي رأيتك بفتاة مثلها".

تحدث آرثر بحدة:
"ليس لك الحق بأن تُخبرني بما أفعل!".

كانت تقف صوفيا خلف آرثر فحدق بها بتهكم وأكمل
ببرود:

"وهل حقًا رأيت بها ما رأيته بي! لا أُصدق صراحةً".

_"ليس من شأنك".

وتركًا الاثنين بذلك المخزن ورحل، زوى أندرو ما بين
حاجبيه بضيق وهتف:
"ما الذي تستطيع فعله يا صوفي؟ تقليم الاظافر أم إبتكار
تسريحة شعر جديدة؟!".

اقتربت منه ونظرت له بابتسامة استفزته:
"ليس من شأنك".

حك أنفه وأكمل كأنها لم تقل شيء:
"أريد أن أرى ما يُمكنك فعله".

_"تتحداني!".

وضع يديه في جيب بنطاله ونبس:

"ولم لا؟".

__ "عشرة أشخاص؟".

ضيق عيناه يُدقق النظر بها وأضاف:
"عشرون في أسبوعٍ واحدٍ فقط!".

مدت يدها تُصافحه فصافحها هو بالمقابل ينظران
لبعضهما بتحدي وقالاً في آن واحد:
"اتفقنا".



مرَّ الأسبوع كاملاً وفعلاً الاثنين ما أتفقاً عليه كأن ما
يفعله هي مُسابقة للركض مثلاً ليس قتل عشرون
شخص دون أي ذنب ولكن في مساء اليوم الأخير، كان
أندرو جالساً بمنزله طوال اليوم ولم يخرج منه لأي
سبب ولكن سمع طرقاً على الباب، نهض بتناقل مُتعجب
من الطارق فكان لا أحد يزوره فكل معارفه وأقاربه

قطع التواصل بهم، حتى وقف أمام الباب ثوانٍ وفتحته فلم يجد أحد وقبل أن يُغلقه ويعود لمكانه ألقى نظرة للأسفل فوجد صندوق و عليه بطاقة صغيرة مكتوبًا عليها، انخفض لمستوى ذلك الصندوق يجثو على ركبتيه يفتحه ببعض القلق حتى وجد ما كانت لعيناه أن تخرج من محجريها بصدمة و عدم تصديق؛ وجد رأسًا مفصولة عن جسدها ولكن لم تكن أي رأس بل رأس آرثر، جحظت عيناه بصدمة وتوجس شاعرًا بتيبس في جميع أنحاء جسده ليُمسك بالبطاقة التي كانت على الصندوق يقرأها بيد مرتجفة فكانت الحروف مُنمقة بخطٍ صغير.

"كُنَّا مُتعدلاً يا عزيزي ولكني لا أحب أن أصبح بنفس مستوى شخص آخر، لقد رأيت بعينيك الغرور والكبرياء وكم كنت صغيرة وأقل منك بنظرك والآن أثبت لك أنني أستطيع التفوق عليك بمراحل فلقد أتيت أمامك برأس مُعلمك العزيز، وداعاً أندرو".

"صوفيا"



حاول أندرو الوصول لصوفيا والعتور عليها ولكن دون جدوى فلقد مرّ ستة أشهر على اختفائها وتلك الجريمة التي فعلتها، بحث عنها في أسبانيا كلها ولكن لم يتوصل لأي شيء يُقربه من وجودها حتى، وفي إحدى الأيام كان اثنين من رجال آرثر يقفان أمام المخزن فاقترب منهما متسائلًا:

"أريد أن اعرف من يملك هاتف آرثر الآن؟!".

أشار أحدهما على شابٍ يقف على بُعد خُطى منهم قائلًا بصوت خفيض:

"إنه مع توني، يحتفظ فيه من ذلك اليوم المشؤوم".
أومئ له متوجه يقصد توني ذلك وحين وقف أمامه وضع يديه داخل جيوب سترته وتحدث سريعًا:
"هل معك هاتف آرثر؟!".

هز توني رأسه بالموافقة وأخرجه من حقيبته يناوله إياه:
"هذا هو، ولكن لم تُريده؟!".

_"لا يهْمك ذلك بشيء".

وأخذه منه ورحل عائداً للمنزل، وأول شيء فعله حين وصل هو تفحص ذلك الهاتف مُحاولاً الوصول إلى أي طرف خيط يقوده إلى صوفيا؛ حتى عثر على مُحادثة بين آرثر وصوفيا، حفظ الرقم على هاتفه وأرسل لها "لا داعي لهروبك أنا فقط أريد مُقابلتك والتحدث معك قليلاً".



وقفت أمام باب منزله يعتليها الرهبة والقلق لم تأتي لسبب إرساله لتلك الرسالة فهي قرأت محتواها منذ أسابيع وتجاهلتها ولكن هي هنا لسبب آخر، نقرت على الباب بلطف ويد مرتعدة وبعد مُدة وجيزة فُتح الباب واقفاً أمامها بوجه مُتصلب كالجليد فبلعت هي ريقها بالمُقابل قبل أن يبتعد قليلاً عن الباب جانباً يُفسح لها الطريق للدخول:
"هيا تعالي".

دلفًا للداخل وحضر لها مشروبًا ساخنًا بعد أن جلست على الأريكة وما زال القلق مُتملِّكًا منها، وضع المشروب أمامها على المنضدة وأخذ كوبه بالمقابل صامتًا، منتظر منها أن تتحدث، أخذت هي بدورها رشفة من الكوب ونبست بهدوء:
"لا أستطيع الهرب أكثر من ذلك."
_ "مني؟!".

هزت رأسها سريعًا بالرفض وأكملت:
"إنني مطلوبة للعدالة، الشرطة تبحث عني بكل مكان حاولت السفر خارج البلاد ولكن كان سيتم القبض عليّ ولا أقدر على الذهاب لأي مكان أشعر أنني دائمًا تحت المراقبة وفي أي وقت سيتم القبض عليّ بأي حال".

صمتت وصمت هو ولم يتفوه بأي كلمة أخرى يترقب منها أن تُكمل فعادت مُجددًا للتحدث بنبرة متوسلة:
"هل يُمكنك مُساعدتي يا أندرو؟!، أرجوك ساعدني إنني بورطة".

أدام لها النظر لمدة ثم نهض مُتكلِّمًا:
"اتبعيني".

ذهبت خلفه حيث يتوجه دون أي تردد ولهفة حتى فتح باب إحدى الغرف وأضاف:
"هذه غرفتك، تستطيعين البقاء هنا حتى تنسى الشرطة أمرك وتُقل القضية كاملة... ولا تقلقي لا يعرف أحد بهذا المنزل حتى أنا مجرد شهادة وفاة".

ارتسمت ابتسامة على ثغرها بعدم تصديق وسرور:
"شكرًا كثيرًا لك لأنقذي..".

ثم سكتت لبرهة وأكملت:
"أسفة على ما قُلته من أشهُر وما فعلته بآرثر".

_"لا يهْم فهو ليس بوالدي حتى احزن عليه".

_"ولكني أعلم أنه كان يعني لك الكثير".

تغلّغت أنامله بخُصلات شعره السوداء قائلاً:
"آرثر مُجرد قاتل متسلسل جعلني مثله ذو قلبًا بائد لا
يصلح لأي شيء حتى المشاعر لا أعلم عنها شيئاً
وكأنني نسيْتُ كيف أشعر... في الحقيقة لا أهتم بموته".



مضى عدة أشهر ومازالت صوفيا مُقيمة في منزل
أندرو وأُقفلت القضية منذ مُدة طويلة ولكن لم يُخبرها
بهذا حتى تظل معه وبجانبه فطوال الثمانية أشهر كان
يشعر بشيء يجذبه ناحيتها ويطمئن بالقرب منها وكثيراً
ما كان يُقرر البقاء بالمنزل حتى يبقى معها، وقتله قلّ
بشكل ملحوظ صار إنسان طبيعياً يوماً بعد يوم نُقِصت
أفكاره السوداوية والمريضة التي زرعتها به آرثر من
سنوات، ولكن على الناحية الأخرى عادت صوفيا لعادة
القتل مُجدداً من حينٍ لآخر وكأنها تشتهيها مثل الشهوة
التي لا تقدر الإبتعاد عنها أو التوقف عن فعلها، نادى
باسمها مرات عدة حتى سمعته:

"صوفيا.. صوفيا هيا لقد حضرت الطعام".

_"حسناً سأتي فوراً".

جلست مقابله مُمسكة بمعلقتها تملؤها بحبات الأرز،
حتى نطق بنبرة قلقة بعض الشيء أوقفها عن تناول
الطعام:

"صوفيا أريد أن أخبرك بشيء هام".

تركت ما يدها وهدقت به باهتمام:
"ما الأمر؟!".

بلع ريقه وهتف بنبرة خافتة كأنه يهمس:
"أحبك يا صوفيا".

حملت به بعد تصديق وتوجس كأنها صُغت:
"م.. ماذا قُلت للتو؟!".

أمسك يدها برفق وأعاد ما قاله ثانيًا:
"أحبك يا صوفيا وأريد أن أبقى معك ما بقي من عمري

بجوارك".

اقترب منها أكثر وأكمل بنفس النبيرة:
"كفى قتل بأناس أبرياء لا ذنب لهم كفى دماء وأفكار
مريضة التي امتلأت بها رأسنا، سوف احجز تذكرتان
إلى أي بلد بعيدة عن تلك البلد ونعيش حياة جديدة تمامًا
ننسى ما حدث كأنه ماضيًا وطوينا صفحته يا عزيزتي
... ما رأيك؟!".

هز رأسه العديد من المرات ببطء ينتظر ردها فنظرت
هي ليده الممسكة بها وأعينه التي يتمعن بالنظر بها
بحيرة وتساءل ثم نطقت بعد برهة:
"ولكني أحب القتل يا أندرو تلك حياتي التي لطالما
عشتها ولم أفكر بتغييرها حتى".

زوى ما بين حاجبيه بعبوس وتعجب:

"بما تقصدين بحديثك هذا؟!".

أخذت نفسًا عميقًا تملئ به رئتيها ثم تفوهت:

"حسنًا يا أندرو دعني أفكر قليلًا".

وانتهى حديثهما على ذلك ولكن حين حل الليل قبل أنا
يخُد أندرو للنوم مرّ من أمام غرفة صوفيا حتى سمعها
تتحدث مع أحد بالهاتف.

_"لا لا لم أفعل أي شيء مما قاله اليوم".

_"نعم أنا لا أُحبه".

_"أجل مثلما اتفقنا سأتي بعد منتصف الليل يا عزيزي".

_"وأنا أيضًا سأفتقدك كثيرًا، وداعًا".



انتظر أندرو خروج صوفيا من المنزل حتى يعرف ما
الذي تنوي فعله أو ماذا ستفعل ومن ذلك الشخص الذي
كانت تُحدثه بالهاتف، ليراها تعبر من أمام غرفته تتأكد

أنه خلد للنوم وتصنع هو بدوره أنه نائم وبعدها خرجت من المنزل فخرج خلفها يتبعها، حتى وجدها تدخل إحدى المنازل المهجورة في منطقة خالية من الناس وهناك خيالٌ يقف وراء النافذة بانتظارها، ارتجل من سيارته يقترب من ذلك المنزل بترقب وحذر حتى لا يراه أحد ثم نظر من خلال النافذة من الخارج يُشاهد ما يحدث؛ ليجد فتاةً مُقيدة بأصفاً بالحائط ومُكممة الفم ولا تُعطي أي إشارة بأنها على قيد الحياة حتى كأنها مُخدرة بالكامل، ثوانٍ وتطلع لصوفيا التي تقترب من تلك الفتاة المسكينة ويبيدها خنجر حاد تُقربه من رقبتها مُتلذذة بها وقبل أن تبدأ في أي شيء هتف ذاك الرجل من خلفها يُقاطعها بتساؤل:
"ماذا عن أندرو؟!".

أجابته بنبرة جافة دون أن تلتفت إليه حتى:
"لا أهتم لأمره وفي الحقيقة أنوي قتله للتخلص منه".

لم يستطع تمالك أعصابه أكثر من ذلك حتى اقتحم المكان سريعاً يهجم عليها بغضبٍ ساخط فسقطت على

الأرض وهو فوقها قابضًا على رقبته صائحًا بصوتٍ هادر:

"أنتِ لستِ إنسانةً ... أنتِ شيطانٌ مُتجسدٌ بهيئةً بشريةً".

تفوهت من بين أنفاسها بصعوبة بصوت خفيض:
"لم اختلف عنك شيءٍ يا عزيزي".

صك على أسنانه وبرزت عروق رقبته بحنقٍ والوغر ملء صدره منها:

"لقد تعهدت على نفسي أن أتوقف عن القتل حين أصرحك بحبي ولكن قطعتُ ذلك العهد وستكوني أنتِ آخر شخصٍ أقتله".

وفي تلك اللحظة هجم عليه ذلك الشخص ولكنه نال منه سريعًا فقد كان مُستعد لأي خطر في أي وقت، حينها اقترب منها ثانيًا واضعًا يده مع أخرى على رقبته ينوي أن يتخلص من شرها للأبد، تلفظت هي من بين أنفاسها وعلامات الاختناق ظهرت على وجهها وزرقت شفثيها قائلة بجحود:

"لن ..تقدر على فعل ذلك يا أندرو".

شدت على قبضته بقوة تذرف عيناه بالدموع على ما
توصل إليه ينبس بنبرة مرتجفة:

"ولكنك لا تستحقي العيش، وداعًا صوفيا".



تمر السنوات وعاد كل شيء إلى ما كان عليه بالسابق
عادت حياته هادئة لا يوجد بها أي عنف أو قتل أو
غموض، يجلس بإحدى المكاتب يُوقع واحدة من
إصدارات كتبه الجديدة التي نُشرت منذ شهر واحد فقط
وهناك عددًا ليس بقليل من الأناس الذين ينتظرون أن
يُوقع لهم أيضًا، كيف عادت حياته تلك وكيف أصبح
كاتب مشهور؟!؛ بعد ذلك الحادث تعهدت على نفسه مرة
أخرى ألا يقتل مجددًا ويتعد تمام البُعد عن ذلك
الطريق الموحش ويقتل تلك النبتة الذي زرعا به آرثر
منذ سنوات قُدام؛ أما بالنسبة لكيف ظهر للنور ثانيةً
وظهر بين عامة الناس فبعد اختطاف آرثر له اخترع
أكذوبة ليخدع بها عائلته ومعارفه وأن قُطاعًا من الطُرق

هجموا عليه وقتلوه مُلقين به بإحدى الأزقة؛ أما بالنسبة له فقد استخرج إليه بطاقة شخصية جديدة وكأنه شخصًا آخر ولكن كان يستعملها عند الحاجة فقط.

أغلق غُلاف الكتاب بعد أن وقعه وناولته للفتاة التي تقف أمامه ليأتي دور الفتاة التي تليها ومدت يدها بالكتاب مرتسمة ابتسامة على ثغرها، فحملك بعدها لعدة ثوانٍ يتذكر ملامحها التي يحفظها عن ظهر قلب مهما مرت السنوات فاتسعت ابتسامة الفتاة مرة أخرى تميل قليلاً لتصل لمستوى الطاولة تقترب منه وتضع كفها بجانب فمها هامسة حتى لا يسمعها أحد:

"لا تقلق لن أخبر أحدًا بأن أحداث تلك الرواية أنها حقيقة وأنت أنت صاحبها.. فهذا سرٌ بيني وبينك فقط".

أخذ منها الكتاب وكتب جملة واحدة فقط.
"احتفظي بالسر جيدًا حتى لا تلحقي بصوفيا".